

كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

مادة التاريخ الأموي

الصف الثاني

أ.د. حمّاد فرحان حمادي المحمدي prof. Dr. Hammad F Hammadi

عمليات الفتوح العربية للمغرب العربي على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان

The Arab conquests of the Arab Maghreb during the reign of

Caliph Abd al-Malik bin Marwan

كانت جبهة المغرب العربي المحور الجدّي لسياسة الفتوح في عهد عبد الملك بن مروان ، إذ خاض المسلمون عدّة معارك لتصفية القواعد البيزنطية على الساحل الشمالي واخضاع البربر لسلطة الدولة .

فبعد أن هدأت أوضاع الخلافة نسبياً ، وجد عبد الملك أمامه متسعاً من الوقت ليقوم بعمل ما في الشمال الافريقي ، سيما وانه خشي من انعكاس نتائج التحالف البيزنطي- البربري وما يمكن ان يسببه من تهديد للحدود الغربية لدولته ، فعهد إلى زهير بن قيس البلوي بقيادة العمليات العسكرية وأمره بالانتقام من كسيلة ، واستعادة الاراضي التي أخلاها المسلمون بعد مقتل عقبة بن نافع . وبتعيين زهير قائداً للجبهة الافريقية ، تبدأ المرحلة الخامسة من مراحل فتوح شمال افريقيا .

كانت فاتحة أعمال هذا القائد ، انتصاره الكبير على كسيلة قرب ممس ودخوله القيروان . والجدير بالذكر ان كسيلة قتل في المعركة ، إلا ان زهيراً لقي مصرعه في صدامه مع البيزنطيين عند درنة ، مما دفع عبد الملك إلى تجميد الجبهة الأفريقية بانتظار فرص أفضل ، في الوقت الذي كان فيه منهمكاً في إخماد حركة ابن الزبير . وما وافى عام(74هـ) ، حتى وجد عبد الملك نفسه قوياً إلى الحد الذي يمكنه من استئناف سياسة الفتوح في شمالي أفريقيا ، لا سيما بعد ان تجاوزت الخلافة محتتها في الداخل المتمثلة على ابن الزبير ، وجاء اختيار حسان بن النعمان الغساني قائداً جديداً ، مؤشراً على ذلك . وبتعيين هذا القائد تبدأ المرحلة السادسة من مراحل فتوح شمالي أفريقيا .

كانت فاتحة أعمال حسان فتحه لقرطاجنة ، أقوى القواعد العسكرية البيزنطية . وحتى يحول دون عودة البيزنطيين إليها ، فقد دمر ميناءها . وقد دعم هذا الفتح الموقف الإسلامي ، فقام المسلمون بعمليات سريعة استهدفت المدن الساحلية ففتحوها باستثناء جيوب قليلة ، منها ، سبتة التي ظلت الحصن القوي للبيزنطيين .

وقد دعم هذا النصر الموقف العسكري الإسلامي في المغرب .

ووقع في غضون ذلك تبدل مذهل في موقف البربر ، إذ انفجرت قبائل الأوراس بقيادة امرأة غامضة عرفت في المصادر العربية بإسم الكاهنة وهي تنحدر من قبيلة جراوي الزناتية البترية ، وقد دانته ، على ما يبدو ، بالعقيدة اليهودية .

ونجحت الكاهنة في تحقيق التفاف واسع حول ثورتها من البربر الأوراس ومت بقايا البيزنطيين ، وهذا ما يفسر احتلالها لمدينة باغاية الساحلية آخر المعازل المهمة التي احتفظ بها البيزنطيون ، ثم راحت تتحدى المسلمين. ولم يستطع حسان الذي سارع إلى اعتراض تقدّمها في وادي مسكناية ، من الوقوف في وجه الحشود الضخمة التي تكثّلت وراءها حيث لاقى المسلمون العناء والبلاء حتى انهم سمّوا يوم المعركة (يوم البلاء) ، ومما يدل على جسامته الهزيمة أن حساناً اضطر ، تحت ضغط الأحداث العسكرية ، إلى التراجع عائداً إلى برقة في ثالث عملية انسحاب للقوات الإسلامية منذ معركة تهودة التي استشهد خلالها عقبة بن نافع.

ونفّذت الكاهنة في غضون ذلك استراتيجيّة جديدة في مواجهة المسلمين قائمة على التدمير كسلاح وتخريبها وحرق الزرع والضرع. وقد أدّت هذه السياسة إلى انفضاض بعض البربر والبيزنطيين عنها خاصة اهل المدن وكبار الملاكين والفلاحين ، مما كان له أثر في وضع حدّ لنهايتها .

أمّا حسان فقد بقي في برقة طيلة هذه المدّة مترقباً وصول الامدادات إليه من العاصمة دمشق ليثار لهزيمته ، وفي الوقت نفسه كان يترصد أخبار الكاهنة . ولمّا علم بتضعف مكانتها استأنف حركة الجهاد .

وقد اقترنت عودته ، بتغيير موازين القوى والتحالفات السياسية ، إذ استقبله السكان البيزنطيون والبربر مستغيثين به من الكاهنة ، وقدموا له الاموال والطاعة . واستردّ بعض القلاع مثل قابس وقفصة وقسطيلية ، ودخل المغرب الاوسط.

وادركت الكاهنة انها عاجزة عن مواجهة المسلمين ، بعد وصول الامدادات إليهم وانضمام البيزنطيين والبربر إلى صفوفهم ، فأخذت تتراجع موغلة في جبال الأوراس وطاردها حسان مدّة عامين إلى أن حصل اللقاء الحاسم معها عند بئر الكاهنة ، فانتصر المسلمون على قوّاتها ، وقُتلت في المعركة .

وبإخماد ثورة الكاهنة ، تم القضاء على كل مقاومة ، من جانب البربر للحكم الإسلامي في المغرب .

وحصل في غصون ذلك أن حاول البيزنطيون استعادة قرطاجنة بواسطة أسطول بحري واقتحموها في عام (82هـ) ، إلا أن حساناً أخرجهم منها ، وحتى يقضي على آمالهم في العودة إليها ، دمرها تدميراً كاملاً ، وبنى إلى الشرق منها مدينة إسلامية بدلاً منها هي تونس .